

# الصين والعلاقة مع الغرب: عيش بسلام مع التنين ولا تعاده

## كيف فرضت بكين نفسها في العالم وبأي طريقة تعاديا وتحابيا في آن واحد



نفوذ لا حدود له

“تيك توك” الشهير. وتعتمد على حلفائها لفعل الشيء نفسه. سيكون القطع مع المصانع الصينية وسوقها الاستهلاكية الضخمة صعبا ومكلفا، حيث تجتمع الصين معظم الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر الشخصية وغيرها من الأجهزة الإلكترونية في العالم لشركة آبل وديل وغيرهما من العلامات التجارية الأخرى. ويحظى سوقها المتنامي بأهمية كبرى لجل شركات صناعة السيارات الأجنبية وغيرها مع بقاء الطلب الأميركي والأوروبي ثابتا.

ويقول المحلل الفلبيني ريتشارد هيدريان إنه “لم تكن هناك أي طريقة يمكن أن تضاهي بها اليابان الولايات المتحدة، حتى في المحيط الهادئ. لكن الأمر يختلف بالنسبة إلى الصين وهو الذي يجعل الصين منافسا محتملا أكثر قوة في السنوات القادمة، سواء كان ذلك عن طريق الصراع العسكري أو الاقتصادي.

تمثل تهديدا بغض النظر عما تفعله”، وربما يسعى إلى احتواء صعودها أو تعطيلها.

وينظر الغرب بالفعل إلى مبادرة الحزام والطريق، التي وصلت إلى أميركا اللاتينية، على أنها مناورة لزيادة النفوذ الصيني في الخارج أو في بحر الصين الجنوبي أين تقاوم حملات الطائرات التابعة للبحرية الأميركية الصين، التي تشعر بدورها أنها محاطة بالقواعد العسكرية الأميركية من كوريا الجنوبية إلى غوام.

ويقول مينتارو أويبا، المسؤول السابق في وزارة الخارجية الأميركية، “في النهاية، يتجسد أهم إرث للحرب في آسيا في بصمة قوة الولايات المتحدة الدائمة” على الصعيدين العسكري والاقتصادي.

وتضعف الولايات المتحدة وبعض شركائها على الشركات لتقليل الاعتماد على الصين. وتضع إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب قيودا على شركات التكنولوجيا الصينية، من شركة الاتصالات العملاقة “هاواي” إلى تطبيق

الغربي الصناعي اللوم على السيارات والإلكترونيات اليابانية الصنع في ارتفاع معدلات البطالة.

وبعد وصول تلك الاحتكاكات إلى ذروتها في ثمانينات القرن الماضي، كانت الصين تجرب استراتيجيات في السوق. وبعد أربعة عقود، لا تزال اليابان غنية، لكنها تعاني من الركود، في حين أصبحت الصين ثاني أكبر اقتصاد وتخوض حربا تجارية مع الولايات المتحدة.

وعلى غرار ما حصل مع اليابان، تُتهم الصين بسرقة التكنولوجيا وعدم الوفاء بالوعود بفتح أسواقها الخاصة في المحيط الولايات المتحدة والصين في المحيط في عدد من الصناعات من السيارات الكهربائية إلى المعدات الطبية المتقدمة.

ويقول المحلل الفلبيني ريتشارد هيدريان، الذي كتب عن التنافس بين الولايات المتحدة والصين في المحيط الهادئ، إن الحزب الشيوعي الحاكم في الصين يخشى ألا يقبل الغرب نظامه القائم على الحزب الواحد.

ويرى أن ذلك الأمر يولد “شعورا بان الغرب سينظر إلى الصين دوما على أنها

الغربية الأميركية “يو.إس.إس.ميسوري” في خليج طوكيو. وضع هذا الأمر نهاية للحرب العالمية الثانية وطموح اليابان على بناء إمبراطوريتها التي انهارت في وقع الدمار الذي أحققه القنبلتان الذريتان الأمريكيتان بمدنيتين يابانيتين معلنان بدء العصر النووي. وقبل أيام، أحبوا القادة الصينيون الذكرى السنوية لأولئك الذين حاربوا اليابانيين في حفل مقتضب.

ويحذر رنا ميتر، الباحث في جامعة أكسفورد ومؤلف كتاب عن الغزو الياباني للصين من المقارنات بين الماضي والحاضر، فيقول “انتهى عصر الإمبراطوريات الكلاسيكي. ستكون خلافات الغد حول الاقتصاد والتكنولوجيا، المدنية والعسكرية على حد سواء. إن قراءة التاريخ مفيدة وضرورية ولكنها ليست دليلا للمستقبل.”

واعادت اليابان بناء نفسها لتصبح ثاني أكبر اقتصاد في العالم بعد الحرب العالمية الثانية، ودخلت في نزاع مع شركاء تجاريين من فرنسا مروراً بالولايات المتحدة. ويليقي

لم تتوقف الصين، أكبر دولة من حيث عدد السكان في العالم والتي يقطنها نحو 1.400 مليار نسمة، عن تخطي كل الحدود من أجل فرض هيمنتها الاقتصادية والتجارية وبسط نفوذها في كل أرجاء المعمورة، لأجل غاية واحدة تحقيق “الحلم الصيني”. ولم يكتف الصينيون في غزومهم بالإغراء الاقتصادي فقط بل تجاوز ذلك إلى التواصل الثقافي والحشد التدريجي للقوات العسكرية لتعزيز مكانة بكين حول العالم، فماذا فعلت الصين لتحقيق هذه الغاية؟

كين موريتسوغو

نوويًا ومؤسساته العالمية، هو الاعتماد الاقتصادي المتبادل الأكثر عمقا، لذلك فقد اعتمدت الصين، بدلا من فرض سيطرتها مباشرة من خلال الغزو المسلح، على الإغراء الاقتصادي والتواصل الثقافي والحشد التدريجي لقواتها العسكرية لتعزيز مكانتها.

وتقول جينييفر ليند، الخبيرة في شؤون آسيا بجامعة دارتموث لوكالة أسوشيتد برس، إن “الوسائل التي تزيد الصين من خلالها قوتها مختلفة، كذلك هو حال الوسائل التي يمكن أن تعتمدها الدول الأخرى في مقاومتها.”

وتراقب بقية دول آسيا مزيج من الانتهازية والخوف هذا الوضع. وتحرص على الاستفادة من تجارة الصين واستثماراتها، وتحذر كذلك من حجمها وقوتها ومطالباتها الإقليمية مترامية الأطراف. وتبقى الصين أكبر من اليابان، بعدد سكان يبلغ عشرة أضعاف، ومن المحتمل أن تكون أكثر قدرة على التعامل مع قوة عظمى أكبر.

وتركز مبادرة الحزام والطريق الصينية على بناء الموانئ والسكك الحديدية والبنى التحتية عبر آسيا وأفريقيا وأماكن أخرى من العالم المتنامي، لكن وجود بكين المتنامي في بحر الصين الجنوبي لا يلاقي ترحيبا، حيث تطارد قوارب الصيد التابعة لجيرانها في جنوب شرق آسيا، وتبني جزرا اصطناعية للاستفادة من مطالبها الإقليمية.

وينصح الاقتصادي الماليزي المخضرم رامون نافاراتنام بالعمل مع الصين وليس ضدها، فهو الذي عاش تجربة احتلال اليابان لبلاده في الحرب العالمية الثانية. ويقول في هذا السياق “يجب أن تكون قادرين على كسب صداقة الصين، بعبارة أخرى، عيش بسلام مع التنين، ولا تعاده.”

وفي عصر مختلف، عندما لم تكن الشمس تغرب على الإمبراطورية البريطانية، سعت اليابان الصاعدة للانضمام إلى عصبة القوى الاستعمارية الأوروبية من خلال غزو الصين واحتلالها بوحشية مع العديد من دول جنوب شرق آسيا الأخرى.

وقبل خمسة وسبعين عاما استسلمت اليابان رسمياً للحلفاء بفضل السفينة

بكين - في الثاني من سبتمبر العام 1945 استسلمت اليابان في الحرب العالمية الثانية، وهي التي تحدثت الغرب في محاولة لقيادة الجيش لتصبح قوة إمبريالية ثم كقوة صناعية. الآن حان دور الصين، أكبر دولة في العالم من حيث الكثافة السكانية، لتحل المسرح العالمي وبسط نفوذها في كل مكان.

تصارع الصين، كما فعلت اليابان ذات يوم، القوى الغربية التي ترى في قدراتها الاقتصادية والعسكرية المتنامية تهديدا لها، حيث تشعر الدولة الآسيوية الكبيرة، بأن الغرب يحاول الحد من صعودها، مما تسبب في تاجيح المشاعر القومية بين جماهيرها وقادتها على حد سواء.



ريتشارد هيدريان

الغرب سينظر إلى الصين دوما على أنها تمثل تهديدا بغض النظر عما تفعله

وتتشابه الأهداف الصينية مع ما رسمه القادة اليابانيون قبل خمسة وسبعين عاما، إذ تريد تأكيد سيطرتها في محيطها المباشر مع تأمين موارد نموها الاقتصادي، ولكن وسائلها مختلفة عن اليابان.

وما تغير في المشهد العالمي في مرحلة ما بعد الاستعمار، بدولة المسلحة

## هل يتحمل العالم حرب عملات جديدة؟

سعر البن أمام العملة الخضراء إلى 101.46 ين لكل دولار، في حين أن متوسط السعر كان 125 ين لكل دولار. ولم يتوقف صعود الين إلا عندما بدأ المتعاملون يشكون من أداء الاقتصاد الياباني، كما لم يتراجع الين إلا عندما أصبحت الالة على تباطؤ الاقتصاد غير قابلة للتشكيك.

تمسك مجلس الاحتياطي الأميركي بأنه يمتلك أدوات السياسة النقدية سيجعل الدولار يواصل تراجعها في الأسواق

ويتوقع على نطاق واسع أنه مع استمرار تمسك مجلس الاحتياطي الاتحادي بأنه يمتلك من أدوات السياسة النقدية أكثر مما تمتلكه البنوك المركزية الأخرى، فإن الدولار سيواصل اتجاهه الهبوطي. وفي حال لم تتغير تلك النظرة فسيضطر البنك المركزي الأوروبي إلى تحمل ارتفاعات جديدة في قيمة اليورو ومقاومة الدعوات المطالبة بالتدخل لحد من هذا الارتفاع وإلا فسيخاطر البنك بتأجيج التوترات التجارية بين جانبي المحيط الأطلسي في الوقت الذي تتزايد فيه هشاشة الاقتصاد العالمي.

والتيبان في توقعات التضخم بين الولايات المتحدة وأوروبا يفسر بدرجة كبيرة ارتفاع قيمة العملة الأوروبية الموحدة أمام الدولار بنسبة 6 في المئة خلال العام الحالي، حيث يمكن أن يصل مؤشر معدل التضخم في منطقة اليورو خلال السنوات الخمس المقبلة إلى 1.22 في المئة وهو ما يقل بمقدار نقطة مئوية تقريبا عن قراءة معدل التضخم الأميركي الذي يبلغ 2.14 في المئة.

ويمارس مجلس الاحتياطي الاتحادي الأميركي سياسة “التجاهل الحميد” لسوق العملة حيث يتيح للبنوك المركزية في العالم الحصول على السيولة الدلارية دون قيود منذ بداية جائحة كورونا، ولا يبدو أن البنك المركزي الأميركي سيتعجل للتخلي عن السياسة النقدية الحالية من أجل مصلحة اقتصاد الولايات المتحدة والعديد من الدول النامية.

وفي ظل هذا الوضع سيبقى البنك المركزي الأوروبي يخوض معركة ضد حائط اللامبالاة لمنع صعود قيمة العملة الأوروبية، علاوة على أن شواهد التاريخ تقول إن “البنوك المركزية عاجزة نسبيا عن تغيير القيمة السوقية لعملاتها.”

فالبانك المركزي الياباني أنفق حوالي 80 مليار دولار خلال الفترة من يناير العام 1999 إلى أبريل 2000، لكنه فشل في وقف صعود العملة اليابانية أمام الدولار. وخلال تلك الفترة ارتفع

ويعرف الهاجس ذاته يلاحق البنك المركزي الأوروبي بأنه كلما ارتفعت قيمة اليورو زادت التأثيرات المضادة للتضخم حيث تصبح أسعار السلع الأجنبية أقل. وغالبا ما كان الكساد المستورد مع السلع الرخيصة وخاصة من الصين عاملا أساسيا لاستمرار التضخم المنخفض في الكثير من الدول المتقدمة.

ويرى مارك جيلبرت وماركوس أشوروث أن خيارا البنك المركزي الأوروبي لرفع معدل التضخم إلى المستوى المستهدف محدودة، في ظل أسعار فائدة تقل عن صفر في المئة وإطلاق برامج تخفيف كمي ضخمة. خاصة أن منطقة اليورو في مرحلة كساد من الناحية الفعلية بعد انخفاض معدل تضخم أسعار المستهلك خلال أغسطس الماضي إلى سالب 0.2 في المئة.

ويثير قلق صناع السياسة النقدية بصورة أكبر التراجع الحاد في معدل التضخم الأساسي الذي لا يتضمن أسعار الغذاء والطاقة الأشد تقلبا إلى 0.4 في المئة.

اليورو أمام الدولار، فهذه القوى تؤثر على توقعاتنا العالمية والأوروبية وإن في البيان الجديد منذ سنوات، لكننا قد حققنا مكاسب أكبر”. ويعني هذا الكلام أن البنك المركزي الأميركي سيؤخر اللجوء إلى زيادة أسعار الفائدة في المستقبل لوقت أطول مما كان يفعل في السابق.

ويتوقع أن يشجع تطبيق الاستراتيجية المعلنة من قبل رئيس مجلس الاحتياطي الاتحادي جيروم باول بعد مراجعة استمرت عاما، التجار الذين يتكهنون بالفعل بتراجع الدولار على المراهنة على اليورو بمستويات قياسية.

وسجلت العملة الأوروبية صعودا أمام باقي العملات الرئيسية للشركاء التجاريين الأساسيين لمنطقة اليورو، وهو ما أصاب البنك المركزي الأوروبي بدرجة من التوتر.

ويقول فيليب لين كبير الخبراء الاقتصاديين الأوروبيين إن “سعر صرف اليورو أمام الدولار أمر مهم. إذا كانت هناك قوى تحرك سعر صرف

نيويورك - ينذر التراجع في قيمة العملة الأميركية بإشغال حرب عملات شاملة في العالم، الأمر الذي قد يشنت انتباه صناع السياسة عن مهمتهم الأساسية في إنعاش الاقتصاد العالمي بعد انتشار جائحة فايروس كورونا المستجد وتداعياتها على كافة المستويات.

ففي العام 1971 قال جون كوناللي، وزير الخزانة الأميركي في عهد الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون لدول العالم، التي كانت تشكو من تضرر اقتصاداتها من تقلبات سعر صرف الدولار “هذه عملتنا، لكنها مشكلتكم.”

ولكن كيف ستتعامل الولايات المتحدة الآن مع تكرار هذا الوضع؟ يقول المحللان الاقتصاديان مارك جيلبرت وماركوس أشوروث في تحليل مشترك نشرته وكالة بلومبرغ إن العملة الأميركية تأخذ اتجاهها منخفضا خلال الأشهر الأخيرة.

وجاء إعلان مجلس الاحتياطي الاقتصادي الأميركي بمثابة تحول جديد نحو سياسة نقدية أكثر تساهلا حيث سيسمح بارتفاع معدل التضخم والبطالة إلى مستويات أعلى مما كان يستهدف سابقا، مع السماح باستمرار المعدلات المرتفعة لفترات أطول وهو ما يعني استمرار تدهور الدولار.

ويقول لائل بيرنارد، عضو مجلس محافظي مجلس الاحتياطي في كلمة قبل

